الجزء الاول السنة الخامسة ١ اكتوبر ١٩٠٢

الضياء

مجلة علمية أدبية صحية صناعية

الى حضرات المشتركين الكرام

ما زلنا منذ شرعنا في كتابة الضياء نجد من نفسنا حاجة الى اخذ فترةٍ في كل سنة نغتنم فيها الراحة من إعمال الفكر وكدّ الرويّة ولا سيما في فصل الصيف على ما عُرِف بهِ في هذه النواحي من شدة الحرّ وثقلهِ . الا اننا لم نبرح ندافع النفس عن هذا المطلب ونحمّلها فوق طاقتها حرصاً على مواصلة اصدار المجلة الى ان عرض لنا في أثناء الشهرين العابرين شغلٌ لا يسعهُ الفراغ القليل الذي يبقى لنا بعد كتابتها فاضطررنا الى الوقوف عند الجزء العشرين وجعلهِ ختاماً للسنة الماضية كما اعلنّا بذلك في بعض الجرائد اليومية في هذا القطر وغيرهِ . وقد رأينا ان نستمرّ على ذلك في السنين الآتية ان شاء الله فنجعل السنة عشرة اشهر نُصدِر فيها عشرين جزءًا فقط وفي مقابلة ذلك قد انزلنا قيمة الاشتراك من ٦٠ غرشاً في القطر المصري الى ٥٠ ومن ١٦ فرنكاً في الخارج الى ١٣ فرنكاً و٥٠ سنتياً وفي مأمولنا ان قرّاءنا لا يجدون في ذلك بأساً اذ ليس هناك اخبارٌ سياسية او تجارية يفوت اوانها ولعلّ هذه العطلة القليلة لا تخلو من فائدةٍ للمجلة بما نغتنمهُ في أثنائها من جمام القريحة مع تفرغنا للسعي فيما يعود على مباحثها بالاتساع والله وليّ التوفيق

المجاز

هو البحث الذي كنا وعدنا بهِ في الكلام على التعريب نوردهُ في هذا الموضع وفآءً بالوعد واجابةً لما لم يزل يتواتر الينا من رسائل الادبآء في تقاضيهِ وهو تتمة كلامنا فيما تقدم لنا في مجلة البيان تحت عنوان اللغة والعصر نعود فيهِ على ذلك البدء ولو تأخر موعدهُ والامور مرهونةٌ باوقاتها

وقد قدّمنا هناك أن طرق الوضع يمكن ان تنحصر في ثلاث وهي الارتجال والاشتقاق والمجاز وقد مضى القول في الاولين واما المجاز فالمراد بهِ هنا المجاز اللغويّ وهو المجاز في المفرد ويدخل تحتهُ الاستعارة والمجاز المُرسَل وفي كلا هذين كلامٌ طويل نقتصر منهُ على ما يتعلق بغرضنا في هذا المقام

فاما الاستعارة فهي ان يُستعمل في الشيء لفظ شبيههِ . واللفظ المستعار قد يكون اسماً لذاتٍ كما يسمَّى البياض الذي يغشى سواد العين بالكوكب أُطلق عليهِ لفظ الكوكب لما بينهما من الشبَه في الهيئة . وقد يكون شيئاً من لوازم الذات اما جزءًا منها كتسمية الطنُف الذي يُشرَع خارجاً عن البنآء بالجَناح تشبيهاً لهُ بجناح الطائر اذا بسطهُ في الهوآء . واما معنًى من المعاني المختصة بها نحو نطقت الحال بكذا اي دلّت عليهِ فانهُ على تشبيه الدلالة بالنطق في الابانة والوضوح

ثم الجزء المستعار قد يكون هو المقصود بالتشبيه كالجناح في المثال فان المراد منهُ تشبيه الطنف نفسهِ بجناح الطائر من غير نظر الى الطائر ولا الى ما اتصل بهِ الطنف من البنآء فهو من الاستعارة التحقيقية كما سيجيءُ لتحقق ما

استعير لهُ بحيث يجوز تصوُّر كلٍّ من المشبَّه والمشبه بهِ مجرَّداً عما اتصل بهِ وليس من الاستعارة المكنيَة في شيء اذ لا معنى لتشبيه البنآء بالطائر كما لا يخفى . وقد يُذهَب به الى تشبيه ما أُثبِت ذلك الجزء لهُ بالذات التي هو منتزَعٌ منها كقولهم فلانٌ على جناح السفر اذا كان متأهباً لهُ فان المقصود من اثبات الجناح للسفر تشبيه السفر بالطائر في سرعة المزايلة لا تشبيه شيء من السفر بالجناح كما هو ظاهر فهو من الاستعارة التخييلية وفي السفر استعارةٌ بالكناية

والضابط في كون الجزء مستعاراً بنفسهِ او قرينةً على الاستعارة فيما يليهِ انهُ ان كان وجه الشَبَه حسّياً كما في جناح الدار فالجزء هو المستعار وما يليهِ قرينةٌ على المجاز وان كان عقلياً كما في جناح السفر فالاستعارة فيما أُثبت لهُ ولا مجاز في الجزء نفسهِ على الصحيح

واما ما كان المستعار فيهِ احد المعاني المختصة بالمشبه به مثل النطق من قولنا نطقت الحال بكذا اي دلّت عليه فانهُ يجمع الطرفين لانهُ لا يخلو من وجود مشبَّهٍ بازآئهِ من لوازم المستعار لهُ كالدلالة فيما ذُكر فهو من الاستعارة التحقيقية . وهو مع ذلك يُثبَت لغير ما هو لهُ كالحال في المثال فهو قرينةٌ على الاستعارة فيما أُثبت لهُ وهو ما يُتناول من مذهب المحققين

فتحصَّل من ذلك ان الاستعارة في الجملة على ضربين احدهما ما يُذكر فيهِ لفظ المشبَّه به ويُترَك لفظ المشبه كما في استعارة الكوكب للبياض في العين ويقال لها الاستعارة المصرَّحة للتصريح فيها بلفظ المستعار منهُ. والثاني ما يُذكَر فيهِ لفظ المشبَّه ويُترك لفظ المشبه بهِ لكن يُكنَى عنهُ باثبات

شيء من لوازمهِ للمشبَّه كما في استعارة الطائر للسفر في المثال المتقدم فان الطائر لا ذكر لهُ في اللفظ ولكن كُني عنهُ باثبات الجناح الذي هو من لوازمهِ للسفر وتسمى الاستعارة بالكناية او المكنّية . ثم المشبه اما ان يكون من الامور المتحققة اي التي يمكن تصورها والنصّ عليها كما في المثال الاول فتسمى الاستعارة تحقيقية واما ان يكون لا حقيقة لهُ كما في المثال الثاني اذ لا شيء في السفر يمكن تشبيههُ بالجناح كما تقدم وانما ذُكر ليستفاد منهُ تشبيه السفر بالطائر على سبيل التخييل ويسمى اثبات هذا اللازم استعارةً تخييلية . والمراد من كلتا الاستعارتين واحد وهو دعوى ان المشبه من جنس المشبه بهِ الاّ ان المكنية ولا شك ابلغ من المصرحة لان قولك مثلاً رأيت رجلاً يفترس الابطال اقوى في معنى الشبه من قولك رأيت اسداً يرمي النبال وان كان الحاصل من كلتيهما واحداً لان الافتراس يقتضي الاسديّة فهي مفهومةٌ ضمناً وقد زيد عليها الافتراس الذي هو من لوازمها فكانت كالدعوى ببيّنة . ومن هنا يُعلَم انهُ كلما كان اللازم في المكنيّة اخصّ بالمشبه بهِ كانت الاستعارة ابلغ ولذلك كانت استعارة الجزء ابلغ من استعارة اللازم المعنويّ . ولهذا المعنى فكثيراً ما يصرّح بذكر الجزء مع ذكر اللازم فيقال في نطقت الحال نطق لسان الحال لان اللسان اظهر في التشخيص اذ هو آلة النطق وجزءٌ من اجزآء المشبَّه بهِ ومثلهُ قولك ركب فلانٌ الباطل وركب متن الباطل وشحذ رأيَهُ وشحذ غِرار رأيهِ وقس على ذلك ما اشبههُ . وربما صُرّح بالذات المشبَّه بها رأساً فيقال نطق خطيب الحال مثلاً وركب فلانٌ مطيّة الباطل وشحذ سيف رأيهِ وحينئذٍ فلا استعارة في الذات على

الاصحّ وانما هو ضربٌ من التشبيه المؤكَّد وهو الذي حُذفت اداتهُ واضيف فيهِ المشبه به الى المشبه على حدّ لُجَين المآء وما جرى مجراهُ.. وهذا كثيرٌ مستفيضٌ في الاستعمال كقولك أجلتُ الرأي وأجلتُ قِداح الرأي وابتّ شملهم وابتّ حبل شملهم وطويت الحديث وطويت بساط الحديث وأضرم الشرّ بينهم واضرم نار الشرّ واستصبحتُ بعلم فلان واستصبحت بنبراس علمهِ الى ما اشبه ذلك

واعلم ان الاستعارة من ادقّ ابواب البيان مأخذاً واكثرها تفصيلاً بل لا يُبعِد كثيراً من قال هي البيان كلهُ . وللقوم في ضروبها ومناحيها وتحقيق انواعها ولاسيما الاستعارة التخييلية منها ما تَسدَر من دونهِ البصائر وتكبو في مجالهِ جياد الخواطر ولذلك وقفنا فيها عند التقسيم الذي مرّ بك ولعلهُ اقرب تناولاً واوضح سبيلاً فضلاً عما فيه من استيعاب ما لم يتعرضوا لهُ والله ملهم السداد (ستأتي البقية)

الهوآء الاصفر

انتشر هذا الوبآء المشؤوم في القطر على حين لم يمرّ طيفهُ ببال ولم يتمثل لهُ في صفحة الوهم خيال وعلى حين تيقظ الحكومة لاقامة امنع السدود في وجههِ وانفاق الاموال الكثيرة في سبيل توقيهِ واذ البلاد تقوم وتقعد لما سطع فيها من الحريق الذي دمرّ ما يقرب من سبعين بلداً في شهر واحد وترك عشرات الالوف من اهلها على انقى من الراحة واذ الطاعون قد ضرب اطنابهُ في الثغر الاسكندري منذ اربع سنين وهو كالمريض لا يفتك فتكتهُ

فيموت بهِ من يموت ويسلم من يسلم ولا ينشط للرحيل عن البلاد فتعود النفوس الى صفوها وطُمأْنينتها فكانهُ قد كُتب على هذه الديار ان تتوالى عليها الارزآء في هذه السنين الاخيرة فلا تكاد تنجو من نكبة او تتوقع الخروج من غمرة حتى تفاجئها اخرى بما ينسيها الاولى

لا جرم ان الطاعون لم يكن بالقياس الى ما ظهر من هول الهوآء الاصفر الاّ لعبة هازل او دُعابة مزّاح فان الذين ماتوا بهِ في هذه السنين الاربع لم يزد بهم عدد الموتى عما كان عليهِ في السنين السالفة ولا كانوا اكثر من الذين يموتون بسائر الامراض بل لو أُحصي الذين ماتوا بالنزلة الوافدة مثلاً او باحدى الحمّيات لكانوا اكثر عدداً . ولذلك اختلف الاطبآء في حقيقتهِ فمنهم من ذهب الى انهُ هو الطاعون الهنديّ بعينهِ لكن جراثيمهُ وصلت الينا ضعيفة ومنهم من زعم انهُ مرضٌ وطنيّ يشبه الطاعون في بعض اعراضهِ وليس من الامراض الوبآئية ومنهم من ذهب الى غير ما ذكر وكلهُ مبنيٌّ على قلة فتك هذا الدآء وضعف انتشارهِ . فلما وفد الهوآء الاصفر كان اول ما فاجأ الناس منهُ خبر تسعين اصابة في يومٍ واحد في بلدة موشة من مديرية اسيوط وهي بلدةٌ صغيرة لا يزيد اهلها على ثمانية آلاف نفس ثم لم يلبث ان تتابعت حوادثهُ واسرع انتشارهُ حتى عمّ القطر باسرهِ وقد بلغ عدد المصابين بهِ من ١٥ يوليو وهو اول يوم ظهر فيهِ الى يوم كتابة هذه السطور ما يزيد على ثلاثين الف نفس مات نحو تسعة اعشارهم و بلغ عدد البلدان التي انتشر فيها ما يقرب من الف وتسع مئة بلد

اما سبب وصول هذا الدآء الى القطر فقد اختلفت فيهِ اقوال الرواة

فقيل ان بعض الحجاج استصحب معهُ زجاجةً من مآء زمزم احتال على تخليصها من محجر الطور فلما انتهى بها الى موشة فرَّقها على آبار البلدة ولذلك فشا الدآء فيها مرَّةً واحدة . وقيل ان واحداً منهم ظهرت فيهِ اعراض الدآء بعد وصولهِ الى المحجر واجتهد سائر الحجاج في اخفآء امرهِ خوفاً من اطالة مدة الحجر عليهم فلما خرجوا من المحجر و وصلوا الى موشة لم يلبث الدآء ان ظهر في بعضهم ثم انتقلت عدواهُ الى غيرهم ولبث الامر مكتوماً الى ان تكاثر عدد الاصابات و بلغ ما ذُكر . وقيل بل الدآء نبت من تلك الناحية وانهُ ليس من الكولرة الآسوية المنتشرة في الحجاز وانما هو مرضٌ وطنيٌّ نشأ في القطر على حدّ ما يحدث منهُ في الهند و بمثل سببهِ هناك . وذلك انه لقلّة مياه النيل في هذه السنة نضب اكثر الترع التي يستقي منها الاهالي ولم يبقَ الا مستنقعاتٌ قد أَسِن مآؤها وكانت تُقضَى فيها جميع حوائج الطهارة من الاغتسال وغيرهِ فضلاً عما يُلقى فيها من الاقذار والجثث حتى صارت مجمعاً للنتن والخبائث وتولدت فيها الديدان والحشرات والناس مع ذلك يشربون منها من غير تصفية ولا ترشيح و يتناولون منها حاجة طبخهم وعجينهم فلا يُستبعَد والحالة هذه ان تكون منبعثاً لكل دآء دويّ و وبآء قتال

ومهما يكن من الامر فقدكان من السهل حصر الدآء في موضع ظهورهِ ولكن الذي حال دون ذلك وكان سبباً في انتشار هذا البلآء ان عُمَد البلاد الذين من وظيفتهم ايذان مصلحة الصحة بكل حادثٍ و بآئي او مرضٍ معدٍ يحدث في نواحيهم كتموا الاصابات الأُوَل فلم يُعلَم بها الا بعد ان بلغت من الكثرة مبلغاً اعياهم كتمانهُ وفي أضعاف ذلك كان بعض المصابين والذين

خالطوهم يتنقلون في البلاد وهم يحملون جراثيم العدوى فلم يُنتَبه لتدارك الامر حتى كان قد اتسع الخرق ولم يبقَ الى تداركهِ سبيل

وهنا لا بدّ لنا ان نثني الثنآء الجميل على مصلحة الصحة لما تبذل من الجهد والاهتمام في تعقب الدآء والوقوف في طريق انتشارهِ وهي وان لم تفلح في حصرهِ وقطع دابرهِ للسبب المتقدم وامثالهِ فلا يُنكَر انها قد خففت وطأتهُ الى آخر ما يستطاع في مثل الحالة الحاضرة . ولا يخفى ان طرق الوقاية من هذا المرض تحصر في امرين احدهما منع انتقال عدواهُ بسببٍ عامّ من الاسباب الطبيعية واهمّ ما هنالك صيانة مآء النيل الذي هو المشرب العامّ لاهل القطر بمنع الاغتسال فيهِ وغسل ثياب المرضى والموتى وغير ذلك من مجالب الوبالة ثم ردم المستنقعات والآبار الموبوءة وتعهد الازقة والمنازل القذرة بازالة الاوساخ والعفونات وكل ذلك قد قامت بهِ هذه المصلحة اتمّ قيام فوقت ارواح كثيرٍ من الالوف ومن تذكّر ما كان من امر هذا الوبآء سنة ١٨٨٣ حين كان يموت بالقاهرة وحدها ما ينيف على الفي نفس في اليوم علم مقدار النفع الذي حصل على يدها في هذه السنة . والامر الثاني منع العدوى من طريق المخالطة الشخصية وهو الامر الذي اعيا رجال الصحة ولم تنجع فيهِ نصائح الاطبآء والعارفين واليهِ ترجع جميع الاصابات التي حدثت في القطر الا ما ندر منها مما حصلت الاصابة فيهِ عن خطإٍ او غرَر . واكثر ما ترى ذلك في طبقة العوامّ من الامة لجهلهم بطبيعة المرض وقصور مداركهم عن فهم التقارير الطبية وكيفية انتقال العدوى بواسطة الجراثيم المرضية ولذلك ترى جمهورهم لا يصدّقون بالعدوى

ولا يرون موجباً للتوقي والحذر . وزد على ذلك ما تأصل في مخيلاتهم من الخرافات والا باطيل كالسحر والعين والحسد واعتقادهم ان الامراض انما تنشأ عن مثل هذه الاسباب فيعالجونها بالاحجبة والرُقَى والتنجيم والزار وما اشبه ذلك . وبقي هنالك امرٌ هو من اشدّ هذه الامور علاجاً واعظمها ضرراً الا وهو انهم يردّون كل واقعٍ الى القدر سوآءٌ كان من الامور المفاجئة التي هي من الغيب المحض او من الامور المتوقَّعة التي قد عُلمت جهتها وامكن تحاميها ولذلك يصاب احدهم بالدآء فيجتمع حولهُ الاهل والجيران ولا سيما النسآء ويخدمونهُ في مرضهِ من غير تحرُّز ولا تجنب واذا تُوفي تزاحموا على توديعهِ والتزوُّد من معانقتهِ وتقبيلهِ وهم لا يعلمون ما تحمل ثيابهم وجلودهم من تلك المعانقة ولا ما يدخل افواههم من تلك القُبَل

ولا يخفى ان امثال هذه الامور لا حيلة فيها للحكومة ولا سبيل الى توقي اضرارها ما لم يكن كل انسانٍ فيها قيّماً على نفسهِ والا تعيَّن على مصلحة الصحة ان تجعل لكل فردٍ من ملايين الاهالي رقيباً يرافقهُ في قيامهِ ومنامهِ وطعامهِ وشرابهِ وسائر احوالهِ واعمالهِ . وانما تُتلافَى هذه المفاسد بنشر الحقائق العلمية وتنوير اذهان العامّة والضرب على ايدي المشعوذين والرقاة واصحاب الزار واشباههم ومنع كتب الخرافات والاضاليل ومواظبة الخطبآء على ارشاد البصائر الضالّة ومتابعة الجرائد نشر الفصول المشبعة في التنديد بهذه الاوهام والتنبيه على بطلانها وبيان ما يترتب عليها من الاضرار والموبقات فان هذا من اهمّ ما يتعين على الجرائد في مثل هذه البلاد

على ان وطأة الدآء قد خفّت في هذه الايام الاخيرة والحمد لله فتناقص

عدد الاصابات الى نحو النصف مما كان عليهِ والامل انهُ لا ينقضي هذا الشهر حتى يتقلص ظلهُ عن هذه النواحي بلطفهِ عز وجلّ ورحمتهِ انهُ تعالى وليّ العباد وفي يدهِ مقاليد الامور

مدارس الرهبانيات في فرنسا

قُضي الامر وأُقفلت مدارس الرهبان والراهبات في جميع البلاد الفرنسوية الا ما جرى منها على قوانين الحكومة واذعن لاوامرها . وهو امرٌ مهما كان فيهِ من فوت المنافع التي كانت البلاد تنالها على ايدي أولئك القوم ومن الجور على الابرياء منهم بالضرب على ايديهم لغير جريرة بل من المغرَم على الحكومة نفسها باضطرارها الى تحمُّل كل ما كان على عواتقهم من اعباء التعليم فضلاً عن اسخاط حزبٍ كبير من رعاياها والتعرض لمقاومتهم فهو ولا شك دليلٌ على ان الشرّ الذي كانت تتوقعهُ من بعض أولئك الرهبان ـ ولا نسمي ذلك البعض لانهُ اشهر من ان يُذكَر ـ اعظم من الخير الذي فاتها منهم ومن الشر الذي تتوقعهُ بسببهم فهي ولا جرم قد اختارت اهون الضررين واجتزأت بأيسر الخطرين

ونحن هنا لا نتعرض لسرد تاريخ هذه المسئلة والبحث عن اسبابها ونتائجها ولا نضع نفسنا موضع الفاحص لاعمال تلك الحكومة للقضاء لها او عليها ولكن جل ما نقولهُ ان صاحب البيت ادرى بما فيهِ وان الامر الذي ما زالت تلك البلاد تتمخض به منذ قيام الجمهورية الحالية بل منذ زمان الثورة المشهورة حتى انتهى الى ما ذُكر لا يمكن ان يُتَّهم فاعلهُ

بالطيش او يكون الباعث عليهِ مجرَّد التحامل من اناسٍ قد نبذوا الدين ومقتوا خدَّامهُ فهذه اسپانيا وهي من قُحّ الكاثوليك وخلَّصهم ما زالت تهبّ عواصف اضطهادها على تلك الفئة وتذيقها الوان النكال حيناً بعد حين مما لا يزال يتجدد الى هذ اليوم

لا جَرَم ان ما اقدمت عليهِ الحكومة الفرنسوية من هذا الامر الجَلَل حقيقٌ بان يكون موضع عبرةٍ لذوي الالباب وتبصرةٍ بحال أولئك الاقوام وما يُبطِنون وراء تلك الظواهر من الدخائل والغوائل . على ان من تتبع تاريخ اناسٍ منهم ولا سيما جماعة الجزويت ووقف على معاملة اكثر الممالك لهم حتى البابوات علم انهم ليسوا في هذه المرة بمظلومين وانما ارتفعت اصوات التظلم على اثر طردهم لذهاب غيرهم بجريرتهم مما اضطُرّت الحكومة الى فعلهِ قطعاً للسان الحجة من قِبَلهم وقِبَل اشياعهم . أَجَل انّا لا نخشى ان يفعلوا في بلادنا كما فعلوا في فرنسا من العمل على قلب الحكومة وتبديل حالة البلاد ولكن مفاسد هذه العصابة لا تحصر في حيزٍ معلوم فان لهم مآرب شتى يحاولون بلوغها من كل طبقة من الناس ويعملون على بلوغها بأي الطرق عملاً بأن « الغاية تشفع في الوسيلة » على ما هي قاعدة طريقتهم . ولما كان لهم هذا التأثير الشديد في عقول العامة الذين يدخلون عليهم بحجة الدين ولا سيما الناشئة الذين ارصدوا انفسهم لتربيتهم وتعليمهم لم يكن لنا بدٌّ ان ننظر في مقاصدهم ونتخطى الى ما ينشأ عن تعليمهم والقالب الذي يطبعون عليهِ عقول اولئك الاحداث وضمائرهم فان هناك ما لا يجوز لنا الاغضاء عنهُ لما يجرّ علينا وعلى بلادنا من سيّئ العواقب

واول ما نذكر من ذلك تربية القلوب على التعصب والقآء الشقاق والفتن بين الطوائف وهو دأبهم المشهور وديدنهم المعروف في كل ما يقولون ويكتبون وهذه منابرهم وكتبهم وجرائدهم شاهدةٌ بذلك بل هذا روح تلامذتهم تجد اكثرهم على ابعد غايةٍ من التعصب سوآءٌ كانوا من الكاثوليك او غيرهم من فِرَق النصرانية او من اهل الاديان الاخرى لما يُشرِبون بعضهم من بغض بقية المذاهب وما يتبغضون به الى البعض الآخر بما يسمعونهم من التقبيح لعقائدهم لاغراضهم المعلومة فيخرج الجميع من مدارسهم وحشو صدورهم العداوة والتنكر واحتقار كل واحدٍ منهم غير دينهِ من سائر الاديان وهي المفسدة التي اهون ما فيها ان ينشا اهل الوطن الواحد على التقاطع والتدابُر وطيّ الضمائر على الضغائن والاحقاد فضلاً عما هناك من تعطيل المصالح المشتركة والفتّ في عضد الجامعة والمصير بالامة الى الانحلال والبوار

ويلحق بذلك ان الحكومة الفرنسوية مع شدة تضييقها على هذه الشرذمة وطردها من بلادها يقيناً بانها الشرّ بعينهِ قد انتزعت هذا السيف من بين اضلاعها واغمدتهُ في فؤاد الشرق فهي ابداً توسعهُ صقالاً وتسقيهِ السمّ الذُعاف بما جعلت لأولئك القوم من الامدادات المالية وما نشرت على رؤوسهم من أعلام حمايتها وقد بثتهم بيننا رسلاً يدعون الى موالاتها فاتخذوا لذلك انجع الذرائع الفعّالة التي هي اللسان الفرنسوي يجهدون في مدارسهم بتعليمهِ وتدريس كل علمٍ بهِ حتى لقد كان احدهم في هذه العاصمة يشرح قواعد النحو العربي بالفرنسوية مع ان الاستاذ عربيّ الاصل

والتلامذة كلهم عرب من مصريين وسوريين . ثم هم فضلاً عن اللغة يحرصون على تدريس تاريخ فرنسا وملوكها وقوادها وعلمآئها وكتابها وشعرآئها وكل من نبغ منها في علم او اشتهر باختراع او اكتشاف حتى يخيَّل للتلميذ ان العلم والذكاء والشجاعة والاقدام كل ذلك قد انحصر في الامة الفرنسوية لانهُ لا يسمع منهم ذكراً لغير رجالها ان لم يسمع في سواهم عبارات الازرآء والتهجين . وعلى ذلك يخرج الناشئ من مدارسهم وهو لا يعلم شيئاً من تاريخ بلاده ومن تقدم من اسلافهِ سوى انهُ يعتقد انهم كانوا قوماً وحشيي الطباع لا علم عندهم الا الخرافات ولا صناعة في ايديهم الا السلب والقتل فقلْ في مئاتٍ بل الوف من شبان الوطن المتعلمين يكون هذا رأيهم في وطنهم واهل وطنهم

وهناك مفاسد اخرى يدسونها في اخلاق التلامذة منها تعليمهم السعايات والنمائم بما يستخدمونهم فيهِ من امر الجاسوسية التي هي احدى قواعد طريقتهم على ما ذكرهُ المسيو شربونّيل (راجع ضيآء السنة الرابعة ص ٥٤٧ و٥٤٨) وكما نصَّ عليهِ في تعاليمهم الخفية (ف ٢ : ٥ و٦ و٧ وف ٦ : ٤) . وللتوصل الى ذلك لا بدّ للتلميذ ان يستعمل الريآء والمداهنة وضروب الخديعة والختل للوقوف على سرائر اخوانهِ ونقلها الى استاذهِ او رئيسهِ فلا يلبث ان تتلبس بهِ هذه الخلال الذميمة لتعوُّدهِ مقارفتها وتلقنهِ اياها ممن يعتقد انهُ لا يأمرهُ الا بكل فضيلة

ومنها اغرآؤهم التلامذة بالدخول في طريقتهم واختطافهم من بين ذويهم على غير رضاهم ولا علمهم كما وقع ذلك مراراً في هذه الديار والديار

السورية وآخر ما في الذاكرة منهُ ما حدث لبعض سكان هـذه العاصمة منذ سنتين مما اضطرّوا فيهِ الى الفشل وامرهُ معلومٌ عند كثيرين ولكيفية هذا الاغرآء شرحٌ مفصّلٌ في تعاليمهم المذكورة (ف ١٣) سننشر تعريبهُ فيما سننشرهُ من هذه التعاليم في بعض الاجزآء الآتية ان شآء الله

اما طريقة التدريس عندهم فلا ندخل في تفاصيلها لان الكلام فيها يقتضي شرحاً طويلاً لا يتسع لهُ هذا المقام لكن نقول على الجملة ان مَن خبر حال التعليم في مدارسهم وجد انهُ مبنيٌّ على التمويه والتدليس كشأنهم في سائر اعمالهم . فتراهم يقيمون المجالس الحافلة يدعون اليها اهالي التلامذة وارباب الوجاهة مبالغةً في الظهور واستدعآء للشهرة ويؤلفون للتلاميذ جمعياتٍ يسمونها بالاكاديميّات وما ادراك ما يجري من المباحث في تلك الاكاديميات . . ويسمون حلقات الدروس باسمآء فخيمة كحلقة الفلسفة وحلقة البلاغة وحلقة الانسانية ـ وانظر ما معنى هذه التسمية الاخيرة ـ وقس على ذلك من امثال هذه الخزعبلات مما يوهم العامّة ان العلم كلهُ في مدارسهم ويوهم التلميذ انهُ يترقى في طبقات العلم حتى اذا خرج من المدرسة كان العلم المشار اليهِ بالبنان . . .

على ان بعض ما ذُكر غير مختصٍّ بفئةٍ من أُولئك القوم ولا بمملكةٍ من الممالك الاجنبية فان اكثر الدول مشتركةٌ في ذلك الخير . . . حتى ان المدرسة الكلية الاميركانية التي هي اصحّ المدارس تعليماً في القطر السوري بعد ما كانت تدرّس العلوم الطبية وغيرها بالعربية وقد طبعت فيها التآليف الضخمة ككتاب الباثولوجيا للمرحوم الدكتور ڤان دَيك وكتاب التشريح

للدكتور ورتبات وغير ذلك من الكتب المحكمة في العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها لم تلبث ان تناولتها ايدي المآرب فألغت التعليم باللغة العربية وعدلت الى المؤلفات الانكليزية وقس على ذلك سائر المدارس الاجنبية في القطرين

ومهما يكن من امر هذه المدارس واغراض ذويها فليس من قصدنا هنا التنديد بها والانحآء على اربابها بالتسوئة والتفنيد وانما اوردنا هذه اللمعة تذكرةً وتنبيهاً لعقلآئنا ان يتداركوا الدآء قبل استحكامهِ فهؤلآء فتياننا قد تنازعتهم الاغراض الدينية وتوزعتهم المآرب السياسية فاصبحت قلوبهم شتَّى واهوآؤهم متفرقة وعاد ما بينهم من الصلة الوطنية انقطاعاً وما يجمعهم من الرابطة الجنسية انفصاماً وعلى الجملة فقد اصبحوا في وطنهم خليطاً من الغربآء لا تربطهم جامعة ولا تضمهم وحدة فضلاً عما تأصل بينهم من الفتن الدينية التي اضرم الجهل نارها والتي لم يبرح أولئك الرسل المصلحون يثيرون غبارها ويشبُّون أُوارها ويتحيَّنون الفُرَص لايقاظ ما بين القوم من الحزازات الكامنة والطوائل القديمة حتى يروا البلاد شعلةً من نار وحتى يكون مَثَلهم مَثَل نيرون الظالم . . .

على اننا والحمد لله قد بلغنا الى عهدٍ نستطيع فيهِ بعد شكر أولئك الاقوام على ما مهدوا لنا من سبل العلم ان نستقلّ بشؤوننا ونستأثر بتنشئة ابنآئنا على الآداب الشرقية واشرابهم الوطنية الصحيحة وجمعهم على وحدة الهوى واتفاق الكلمة وتعزيز اللغة التي هي اوثق جامعةٍ للامة على اختلاف مذاهبها ومشاربها . فان عندنا خلا مدارس الحكومة في القطرين عدة

مدارس وطنية لا تنحطّ عن درجة اعلى المدارس الاجنبية كمدرسة الاقباط الكبرى في القاهرة وهي من المدارس التجهيزية وكالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة في بيروت والمدرسة الشرقية في مدينة زحلة من جبل لبنان ولعلنا عن قليل سنبشر القرآء بافتتاح المدرسة التي تنوي انشاءها الطائفة الارثوذكسية في بيروت باقتراح وهمة سيادة اسقفها العالم الفاضل المطران جراسيموس مسرّة الشهير. ومعلوم ان المدرسة انما هي عبارةٌ عمن يأوي اليها من الطلاب فكلما كثر عديدهم ازدادت اتساعاً وغنًى وكانت اقدر على التبسط فيما تلقنهُ من انواع العلوم الى ان تبلغ اعلى درجةٍ من الكمال فعلى ابناء الوطن ان كانوا قد شعروا باضرار المدارس الاجنبية وكانوا يودّون ان يخرج ابناؤهم رجالاً وطنيين خالين عن المفاسد التي اشرنا اليها ان يعضدوا المدارس الوطنية ويكونوا يداً واحدة في تعزيزها والاقبال عليها ولا يغترّوا بما يرون في سواها من الظواهر المموّهة والله المسؤول ان يهدي بصائرنا الى السبيل الارشد وهو حسبنا

الماء المقطّر والصحة

من الناس من يظن ان الماء المقطّر اصلح للصحة من ماء الينبوع لكونهِ هو الماء الطبيعيّ الصِرف الخالي عن الموادّ الاجنبية ولكن التجارب العلمية في هذه الايام اثبتت ان الامر بالخلاف وقد وقفنا على فصلٍ في هذا المعنى للدكتور اسطفان لُدُوك شرح فيهِ ما اجراهُ بنفسهِ من الاختبار فاحببنا تلخيصهُ فائدةً للقرآء

وقد بنى اختباره هذا على ما هو معروف في السوائل من الميل الى امتصاص بعضها من بعض عند اختلاف قوامها كثافةً ورقةً بحيث ان الاكثف يمتصّ من الأرقّ حتى يصيرا بقوامٍ واحد . والسائلان قد يلتقيان مباشرةً كما اذا صُبَّ شيء من محلول الشبّ الازرق (كبريتات النحاس) في انآء مآء وقد يكون بينهما حائلٌ ذو مسامٌ كما اذا جُعِل احدهما في نحو مثانةٍ او انآء من خزفٍ غير مدهون وحينئذٍ يكون الامتصاص ابطأ ولكنهُ يستمرّ الى ان يبلغا حدّ التعادل

وبنآء على ذلك فقد عمد الى ثلاثة اغصان رخصة من احد انواع النبات فجعل احدها في الهوآء وغمس الثاني في المآء المقطَّر والثالث في محلول مُشبَع من نترات البوتاس . وبعد اثنتي عشرة ساعة وجد ان الغصن الذي كان في الهوآء قد ذبل والذي كان في المآء المقطر قد انتفخ وبقي مقوَّماً على اصلهِ والذي في محلول نترات البوتاس قد ذبل الا انهُ كان اشدّ ذبولاً من الذي كان في الهوآء فتدلّت اوراقهُ وانحنى وامتصّ المحلول ما كان في خلاياهُ من المآء

ثم امتحن ذلك في البنية الحيوانية فاخذ قطرات من الدم ونزع فبرينها ثم افرغها في انبوبين من الزجاج قد جعل في احدهما محلولاً من نترات البوتاس على نسبة ٢ ٪ وفي الآخر مآء مقطراً . وبعد ان اتى عليها بضع ساعات وجد ان كُرَيّات الدم قد رسبت في اسفل الانبوب الذي فيهِ المحلول فتألف منها كتلةٌ حمرآء قاتمة وقد انفصلت انفصالاً تامًّا عن السائل وبقي فوقها لا لون لهُ . واما الانبوب الثاني الذي فيهِ المآء المقطر فلم يرسب فيهِ

شيء ولكن الماء تلون بحمرة متساوية وتبين له بالمجهر (المكرسكوب) ان الكريات قد انحلت في الماء ولم يبق منها شيء

قال وقد قرر المسيو همبرنجر انه اجرى هذا الامتحان بمحلول من البوتاس زاد كمية البوتاس فيه تدريجاً فظهر له ان كريات الدم لا تزال تنحل فيه الى ان يبلغ مقدار البوتاس ٠،٩٦ ٪ وفيما فوق ذلك يتوقف الانحلال الى ان يبلغ مقدار البوتاس ١،٠٤ ٪ فتبدأ الكريات بالرسوب ثم انه كلما زيد اشباع المحلول كان حجم الراسب من كريات الدم اقل بحيث ان هذه الكريات والسائل الذي يخالطها يتعاوران الامتصاص فكلما رقت مادة السائل اشتد امتصاص الكريات منه والعكس بالعكس. وهذا هو السبب في تصلب الغصن وانحلال كريات الدم في الماء المقطر لان خلاياهما امتصت من دقائق الماء بمقدار النسبة التي بين دقائق الطرفين في الحجم وبخلاف ذلك الماء المحلول فيه نترات البوتاس فان دقائق نترات البوتاس اكبر حجماً من دقائق الماء فاذا زيد اشباع المحلول خرج الماء من خلايا الغصن وكريات الدم وامتصه المحلول فيصغر حجم كل من الخلايا والكريات المذكورة الى ان يقع التعادل بينها وبين الماء المحيط بها ولذلك يكون مقدار الراسب من الدم في المحلول اقل كلما كان المحلول اشد اشباعاً وبعكس ذلك اذا قل اشباعه حتى انه اذا رق الماء كثيراً افرطت الكريات من امتصاصه وانتفخت الى ان تنشق وتنحل مادتها فتموت

اذا تقرر ذلك علم منه ان الماء المقطر يكون سماً قاتلاً للكريات الحمراء من الدم وما ذكر من فعله لا يقتصر على هذه الكريات فقط

ولكن لهُ نفس هذا العمل في جميع الخلايا الحية ومقاومتها لهُ تكون بقدر ما فيها من القوة على التمدد وما في اغشيتها من المتانة . وعلى ذلك فاشدّ المآء ضرراً ما كان ارقّ واصفى وكانت الموادّ المنحلّة فيهِ اقلّ حتى ان من مآء الينابيع ما يكون فعلهُ فعل المآء المقطَّر فان في بجَستَين ينبوعاً يسمى بجفت برُوتن اي الينبوع السامّ ظهر بالتحليل ان مآءهُ في آخر غاية من النقاوة حتى انهُ اصفى من المآء المقطَّر اذ لا شيء فيهِ من الغازات على الاطلاق ولكنهُ اذا شُرب انتفخت به خلايا النسيج المخاطي الهضمي وفسدت بنيتها فيكون تأثيرهُ اشبه بتأثير احدى الموادّ الكاوية وهذا عينهُ هو السبب في ضرر مآء الثلج ومآء الجبال الشديد النقاوة . انتهى

اسئلة واجوبتها

دمياط — بينما كنت اقرأ في سورة الأنعام وصلت الى قولهِ « وأقسموا جهد أيمانهم لئن جآءتهم آيةٌ ليؤمننَّ بها قل انما الآيات عند الله وما يُشعرِكم انها اذا جآءت لا يؤمنون » . فاشتبه عليَّ تفسير هذه الآية لان المعنى يقتضي ان يكون قولهُ « لا يؤمنون » . بالاثبات فهل نعدّ « لا » زائدةً هناك واذا كان ذلك فهل يصح ان يقال ان في الكتاب زيادة

باسيلي سرور

الجواب قال البيضاوي في تفسير هذه الآية « ما يُشعرِكم اي ما يُدريكم استفهام انكار انكر المسبَّب مبالغةً في نفي السبب وقيل « لا » مزيدة وقيل « أنَّ » بمعنى لعلَّ اذ قُرئَ « لعلها » . وقرأ ابن كثير وابو عمرو

وابو بكر عن عاصم ويعقوب « إِنها » بالكسر كانه قال وما يُشعِركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم » انتهى المقصود منهُ باختصار . واما الزيادة في الكتاب فالظاهر انها لا تمتنع لانهُ جارٍ على اسلوب كلام العرب وهي مألوفةٌ عندهم في كثيرٍ من الصور بشرط عدم الالتباس ومن ذلك قول الشاعر

وتلحينني في اللهو أن لا احبهُ ... وللّهو داعٍ دائبٌ غير غافلِ

قالوا ولا بد ان يكون للزيادة فائدة ولا سيما في الآيات القرآنية اما لفظية كتزيين الكلام اومعنوية كتأكيدهِ أو ما اشبه ذلك من الاغراض

بيروت — جاء في موشح قسطاكي بك الحمصي المطبوع في الجزء الاخير من ضياء السنة الماضية قولهُ (ص٦٢٦) « عند ما قبلّتني اول مرّ » . وقد اعترض بعضهم على حذف التاء من قولهِ « اول مرّ » فهل يجوز مثل ذلك في الشعر ام لهذا الاستعمال وجهٌ آخر ح * ي

الجواب — ليس حذف التاء في هذه اللفظة من باب التجوز ولكن المرّ يأتي بمعنى المرّة يقال جئتهُ مرًّا او مرّين اي مرّةً او مرّتين كما هو واردٌ في كتب اللغة

آثار ادبيّة

تاريخ التمدن الاسلامي — لا يخفى ان المكاتب العربية كانت لا تزال في حاجةٍ الى سفرٍ يستوفي تاريخ التمدن الاسلامي ببيان مقدماتهِ واسبابهِ وكيفية تدرُّجهِ وامتدادهِ ووصف ما تعاقب عليهِ من الدول وما كان لها

من الوقائع والفتوح وذكر ما بلغت اليهِ الامة من البسطة في العلم والصناعة والتجارة وغيرها ممـا يمثلها في مجموعها وهو ما لا يخلو عنهُ تاريخ مملكةٍ من الممالك المتمدنة . وقد عني بسدّ هذه الثُلمة حضرة رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغرآء اخذاً عن متفرق الاسفار والتواريخ في العربيـة وغيرها واصدر الجزء الاول من كتابهِ وهو يتضمن ذكر نشأة الدولة الاسلامية و وصف احوال الخلافة والخلفآء وخطط الولايات والقضآء والجند الى ما يدخل تحت هذه المعاني مما لا يحاط بهِ الا بعد طول التنقيب والبحث ومطالعة الاسفار الكثيرة . فنثني على اجتهاد حضرة رصيفنا المشار اليهِ ونحث ارباب المطالعة على اقتنآء هذا الاثر الجليل فانهُ من افضل ما تزان بهِ المكاتب

والجزء المذكور جيد الطبع والورق مزين بكثير من الرسوم وهو يقع فيما يزيد على مئتي صفحة وثمنهُ عشرة غروش مصرية

روايات مسامرات الشعب — هي روايات ادبيـة صغيرة يصدرها تباعاً حضرة الاديب خليل افندي صادق صاحب مكتبة ومطبعة الشعب وقد صدر منها الى الآن تسع روايات ما بين موضوعة ومعربة وجميعها مما تحسن مطالعتهُ وهي تباع في المكتبة المشار اليها وثمن الرواية منها غرش واحد

رُزآن علميان

نعت جرائد اوربا ومجلاتها العلمية المسيو فاي العالم الفلكي الشهير توفي في ٤ يوليو الفائت وهو في الثامنة والثمانين من العمر . وهو اكبر رجال الندوة

العلمية سناً وآخر من وُلد من علماء الهيئة لعهد الملكية وكان من العلماء العاملين في مرصد باريز وفيهِ اكتشف اكتشافاتهِ وأتمّ سائر الاعمال التي طارت بها شهرتهُ بين علماء الخافقين

ومن مآثره المذكورة انهُ أتمّ طريقة صنع الآلات الفلكية واكتشف المذنَّب المعروف باسمهِ وهو اول من استخدم التصوير الشمسي في رصد الكواكب وما خلا رصودهُ وحساباتهِ الفلكية اشتغل بمسئلة تكوُّن الاجرام السماوية وهو صاحب المذهب المشهور الذي عارض به مذهب لاپلاس وقد شرحنا ملخص المذهبين في بعض اجزاء السنة الماضية تحت عنوان تكوُّن العالم الشمسي

وعلى الجملة فقد كانت حياتهُ ذات عملٍ متصل ومنافع جليلة فلا جرم ان فقدهُ كان رزءا كبيراً على العلم والعلماء ولذلك كان لمنعاهُ وقع اسفٍ شديد في جميع الاندية العلمية في اوربا واميركا

وجاء في الانباء البرقية الاخيرة نعي الكاتب الروائي المشهور المسيو اميل زُولا توفي في ٢٨ ستمبر وله من العمر اثنتان وستون سنة لم يقف فيها قلمهُ ولم يجفّ قرطاسهُ وهو آخر مشاهير كتاب فرنسا من اهل القرن الماضي. وقد كان نسيج وحدهِ في قوة العارضة وطلاوة الانشاء وتآليفهُ اشهر من ان تُذكَر وقد ترك بها لنفسهِ صدًى لا ينقطع وذكراً لا يُمحى

فكاهات

نميمة الهوآء (١)

في اليوم الاول من يوليو سنة ١٧٩٨ نزل الامبراطور العظيم نابوليون بوناپرت بستة وثلاثين الف مقاتل بالقرب من الاسكندرية كما هو معلوم من تاريخه وقد قصد الاستيلاء على هذا القطر وجعلهُ محطة بين مملكتهِ والهند التي كان في نيتهِ افتتاحها . وبعد وصولهِ بأربعة ايام دخل الاسكندرية ثم زحف قاصدًا القاهرة وكان المتسلط على القاهرة اذ ذاك واحدًا من امرآء المماليك يقال لهُ مراد بك وكان قد نادى باستقلالهِ فأرسلت الدولة العثمانية جيشًا استخلص القاهرة من يدهِ سنة ١٧٩٠ وسعت الدولة في القآء القبض على مراد المذكور فهرب برجالهِ الى صعيد مصر . ولما جآء نابوليون لقيهُ مراد بك بالقرب من امبابة بستين الفًا من اتباعهِ وحدثت بينهما معركة هائلة تعرف باسم موقعة الاهرام انجلت عن فوز الجيش الفرنسوي وهزيمة مراد وقتل نحو خمسة عشر الفًا من رجالهِ

وكانت الدولة الانكليزية لا تغفل طرفة عين عن حركات ذلك الامبراطور العظيم فلما تحققت غايتهُ من مجيئهِ الى مصر ارسلت في اثرهِ امير البحر الشهير نلسون وفوضت اليهِ الرأي في احباط مسعى نابوليون فجآء الاسكندرية ورأى المراكب الفرنسوية فيها فاصلاها نارًا حامية وتركها اخشابًا تحترق على وجه المياه في ابوقير وكان ذلك بعد فوز نابوليون على مراد المذكور ببضعة ايام

وما بلغ نابوليون قمة الهرم الاعلى من اهرام الجيزة حتى بلغهُ خبر اضمحلال اسطولهِ البحري فأوفد عساكرهُ الى ابوقير فلم تجد فيهِ سوى جيش من العساكر العثمانية فقاتلتهُ وبددت شملهُ وكان ذلك سنة ١٧٩٩

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

واستدعت الاحوال رجوع نابوليون الى فرنسا لتدبير شؤون داخليتهِ فعاد اليها تاركاً في مصر الجنرال كليبر بجيشٍ كافٍ وتواصٍ شديدة لاكمال ما شرع فيهِ نابوليون . فسار كليبر والجيوش الانكليزية في اثرهِ تساعد الاتراك على مقاومتهِ حتى سدت في وجههِ جميع الطرق واضعفت قوتهُ ورأى ان لا فائدة ترجى من بقآئهِ في القطر فخاطب السير سدني سميث قائد الجيوش لانكليزية ان يسمح لهُ بالخروج مع عسكرهِ والعودة الى فرنسا فوعدهُ بذلك ولكنهُ لم يلبث ان غيّر وعدهُ وطلب تسليم كليبر وجنودهِ بمنزلة اسرى حرب. فلم يطق الدم الفرنسوي هذا التلوّن والاستخفاف فزحف كليبر الى المطرية سنة ١٨٠٠ وفيها اذ ذاك من الجنود العثمانية سبعون الفاً وهم ستة اضعاف عدد عسكرهِ فجرت بينهُ و بينهم موقعةٌ هائلة كان النصر فيها لكليبر وقُتل من عساكر الاتراك خلقٌ لا يحصى . غير انهُ لم يتمتع كثيرًا بهذا الانتصار العظيم لانهُ قُتل بعد هذه الموقعة ببضعة اشهر وسلمت قيادة الجيوش الفرنسوية في مصر الى الجنرال مانو

ولم تكن تنتظر انكلترا مثل هذه المقاومة من فرنسا فصممت على كسر شوكتها بيدٍ قوية قبل استفحال الامر فارسلت السير رالف ابركرومبي بسبعة عشر الفاً فبلغ الاسكندرية سنة ١٨٠١ ومذ ذاك اخذ الظلّ الفرنسوي يتقلص شيئاً فشيئاً حتى اخلى القطر المصري بتمامهِ ولما امنت انكلترا عودتهُ سلمت مصر الى الاتراك سنة ١٨٠٣ . وما كادت الجيوش الانكليزية تبلغ بلادها حتى انقسمت الاتراك في مصر الى حزبين وهما الالبان والغزّ وكان الفوز للالبان وفي رأسهم محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية فانتخب حاكماً لمصر سنة ١٨٠٥

ولما رجع الجيش الفرنسوي من مصر تخلف عنهُ بعض المرضى واصحاب العاهات ممن لم يكن في الامكان نقلهم وكان بين هؤلآء ضابطٌ يدعى مارشال كان قد اصيب بجراحٍ كثيرة في معركة المطرية اقعدتهُ عن مرافقة الجيش بعد ذلك فانعم القائد عليهِ بمبلغ من المال اشترى بهِ منزلاً صغيرًا بالمطرية واقام بهِ يقضي بقية ايامهِ وكان بالقرب من منزلهِ شجرة قديمة تُعرف الى اليوم بشجرة العذرآء. فتمين

بمجاورتها - وحدث يوماً انهُ رأى عبدين يسيران الى جانبي دابةٍ وقد ركبت عليها سيدةٌ مقنَّعة حتى بلغت الحديقة فانزلها العبدان ولبثا ينتظرانها . اما الفتاة فسارت الى الشجرة المذكورة وجثت لديهـا حيناً وهي غارقةٌ في التضرع حتى اذا انتهت اخذت غصناً صغيرًا من الشجرة فقبلتهُ ثم وضعتهُ في صدرها وهمت بالرجوع . فاستغرب مارشال الامر وتوجه لمقابلة الفتاة فحيَّاها فردت تحيتهُ باللغة الفرنسوية فابتهج لما رآها تتكلم بلسانهِ فقالت لا تعجب من مخاطبتي لك بهذه اللغة فاني فرنسوية الاصل ولكني ألبس هذا الزيّ اتباعاً لعوائد البلاد . فطفح قلب مارشال سرورًا واخذ يدها وجعل الاثنـان يتمشيان في الحديقة واطلعت الفتاة مارشال على تاريخ حياتها فعلم منهُ انها ابنة رجل فرنسوي جآء الى مصر بزوجتهِ وابنتهِ واسمها كلوتيلد قبل مجيء نابوليون باعوام وكانت اذ ذاك طفلةً وكان والدها يميل الى الزراعة فتزيّا بزي اهل البلاد واقام يبتاع الاطيان ويغرسها حتى جمع ثروةً صالحة ولكنهُ توفي منذ مدةٍ ولحقت بهِ زوجتهُ فتركا اموالهما لابنتهما كلوتيلد . ثم ان كلوتيلد وجدت في بقآئها في مصر لذةً وهي لا تعلم شيئاً عن وطنها الا ما سمعتهُ من والديها ورأت نفسها في سعة من العيش فاقامت في القاهرة وكانت كل مدة تزور شجرة العذرآء في المطرية فتتلو تحت اغصانها صلواتٍ عن نفس والديها

وشعر مارشال وكلوتيلد بمـا يشعر بهِ كل غريب اذا رأى احد ابنآء وطنهِ في بلادٍ بعيدة فبقيا يتحادثان ويتذاكران وافترقا اخيرًا كانهما صنوان قد عاشا معاً وتواعدا ان يتزاورا ثم ما عتم مارشال ان اقترن بكلوتيلد وسلمت اليهِ اطيانها واموالها فعاشا سعيدين ورزقهما الله توأمين ذكرًا وانثى سمياهما ادوار وأنجل . ولما كبرا عكفا على تعليمهما ما يعلمانهِ فاتقنا اللغة الفرنسوية واخذا عن امهما اللغة التركية التي كانت قد تعلمتها جيدًا

وساعد الحظ مارشال فاستدعاهُ محمد علي باشا وفوَّض اليهِ قيادة فرقة من جنودهِ وطلب اليهِ ان يدرّبها في المثاقفات العسكرية ففعل ونال حظوةً في عيني الامير . اما ادوار وأنجل فكانا مثال المحبة والوداد وآية الجمال والكمال وكانا لا يفارق

احدهما الآخر في الدرس والتنزه واللعب والقيام والنوم وكان لوالدتهما كلوتيلد سلسلة من الذهب الخالص قد ورثتها عن والدتها ففصلتها قطعتين وضعت في عنق كلٍّ منهما قطعة وقد نقشت لكلٍّ اسمهُ وتاريخ ولادتهِ

ولما بلغ الولدان الثامنة من سنيهما ارسل مارشال ابنهُ ادوار الى فرنسا واوصى بهِ بعض معارفهِ القدمآء وهو يودّ ان يقدمهُ الى المدرسة الحربية ليتلقى فيها العلوم العالية والافانين الحربية . فسافر ادوار مخلفاً لوالديهِ وشقيقتهِ الوحشة الشديدة وكان اشدهم وحشة شقيقتهُ فانها انقطعت عن التنزه والالعاب ولم تعد تفارق البيت الا نادرًا

وبعد سنتين من ذلك التاريخ اي في سنة ١٨٢١ نشبت الحرب بين الدولة العثمانية واليونان وطلبت الدولة نجدةً من محمد علي باشا فارسل لها ثمانية آلاف جندي وكان من جملة قوادهم مارشال . واول معركة خاض مارشال غبارها ابلى فيها البلآء الحسن ورفع شأن الجنود المصرية ولكنهُ ما خرج من المعمعة حتى اصابتهُ رصاصةٌ في صدرهِ فخرّ قتيلاً . ولما بلغ الخبر محمد علي باشا اجتهد في اخفآئهِ عن كلوتيلد ولكنها عرفتهُ اخيرًا فاعقبها الحزن مرضاً توفيت بهِ ولم يبقَ من تلك الاسرة في مصر سوى انجل وحدها وعمرها احدى عشرة سنة . فاضاف محمد علي باشا املاك اسرة مارشال الى دائرة احدى اميرات بلاطهِ واسمها زينب بشرط ان تتخذ أنجل ايضاً فتجعلها كابنتها او كشقيقتها . ثم طلب معرفة عنوان اخيها ادوار فلم يهتدِ اليهِ وحدث لهُ من المشاغل ما انساهُ الامر بعد حين

وكانت الاميرة زينب تقطن قصرًا على الضفة الشرقية من النيل جنوبي القاهرة . وكان القصر فخيم البنآء تحيط بهِ حديقة واسعة الارجآء دائمة الخضرة والازهار ويحيط بالحديقة سورٌ عالٍ لا يُدخل منهُ الا من بابٍ واحد عظيم البنآء وعلى جانبيهِ نقوشٌ تمثل البنآء العربي القديم . وكانت الاميرة تركية الاصل وقد ورثت عن زوجها اموالاً طائلة واراضي فسيحة والقصر المذكور ففضلت الاقامة فيهِ أيّمًا لانها رأت حيـاة الحرية المطلقة افضل من الاسر تحت نير الزواج . ولم تكن تحرم نفسها شيئاً من اسباب السرور والانبساط وكان لها قوارب بديعة الصنعة

تقف تحت قصرها فتنزل فيها في الليالي المقمرة وتمخر بها بين شواطئ النيل فتلذذ نفسها بمنظر مياههِ وغنآء خادماتها وجواريها . ولما بلغتها ارادة محمد علي باشا ولم تكن تخالف لهُ امرًا استلمت أنجل وأطيانها ونظرت الى الفتاة فالفتها كالخيزران قامةً وكالبدر طلعةً فأعجبتها جدًّا ثم كلمتها بالتركية فأجابتها هذه بعذوبة صوت كان لهُ في قلب الاميرة اشد تأثير فأحبت الفتاة حبًّا لا مزيد عليهِ وامرت ان لا تفارق شخصها البتة . ورأت ان اسمها الافرنجي لا يوافق دائرتها التركية فأبدلتهُ بنجلآء . وقضت نجلآء ايامها الاولى في قصر الاميرة محنية الرأس دامعة الطرف كاسفة البال لا تفارق صدرها الزفرات ولا عينها العبرات وهي تندب والديها الفقيدين واخاها الذي لم تعد تسمع عنهُ شيئًا . ولكنها ما عتمت ان اخذت في نسيان كل ذلك شيئًا فشيئًا وقد ألهاها عن احزانها ما رأتهُ في قصر الاميرة من اسباب الابهة واللهو والطرب وزاد على كل ذلك عطف الاميرة زينب عليها ومحبتها الشديدة لها . وكانت الاميرة لا تبخل عليها بأفخر الملبوس واثمن الحلى فأصبحت نجلآء من اجمل صور ذلك القصر

وكان للاميرة نسيب يقال لهُ الامير فائز رأى يومًا نجلآء فسحر بجمالها وكانت تنشد للاميرة بعض الالحان التركية فخلبت لبهُ وسلبت عقلهُ وهام بحبها ففقد صبرهُ . واطلع الاميرة زينب على سرهِ فقالت لهُ اني لا الومك على حب مثل هذا الملَك ولكنني من الجهة الواحدة لا احب ان نتزوج واخسر مؤانستها ومن الجهة الثانية اراها لا تميل الى الزواج وقد اتفق لنا ان تكلمنا عنهُ مرةً فأظهرت نفورها التام من ذلك وهي تفضل مثلي حياة الحرية المطلقة . فقال الامير اما بُعدها عنكِ فأعدكِ انها ولو تزوجتني نبقى كلانا في دائرة قصركِ . واما عدم ميلها الى الاقتران فاذا سمحتِ لي برضاكِ اتعهد بتليين قلبها واستلام زمامها . فسمحت لهُ الاميرة وقالت لهُ دونك وما تريد غير اني اخطرك من الآن انني لا اسمح لنجلآء ان تقترن بك ما لم اتحقق انها اصبحت تهواك كما تهواها . فخرج الامير فائز مسرورًا وهو يعلل نفسهُ بالفوز معتمدًا على دهآئهِ وجمالهِ وغناهُ ان لا يجد صعوبة في الاستيلآء على قلب نجلآء . وايقاعها في محبتهِ . اما نجلآء . فكانت لا تميل الا الى بنات جنسها غير ان احاديث الاميرة عن

فائز وتهالكهِ في سبيل مرضاتها جعلها تميل شيئاً الى محادثتهِ والنظر اليهِ ولكنها لم يخطر لها قط ان يكون بعلاً لها يوماً ما وكانت ترتعد فرائصها اذا ذكر لها احدٌ امر الاقتران

ومضت سنوات عديدة على تلك الحالة وادركت نجلآء الحادية والعشرين من عمرها فاستوى قدّها وبرز نهداها واصبحت فتنةً للناظرين . وحدث في بعض الليالي الحارّة ان خرجت الاميرة كعادتها للتنزه فركبت ونجلآء قارباً كانت النوتية تجرهُ من قارب آخر فوق مياه النيل الهادئة والى جانبهما قاربٌ آخر يقلّ الجواري الحسان من خدم الاميرة وبينهنَّ العازفات والمغنيات فقضينَ ليلة من اجمل الليالي . ثم صرفت الاميرة جواريها ولبثت مع نجلآء تمخران ذهاباً واياباً في النهر حتى قارب الليل ان ينتصف وكانتا قد صارتا بالقرب من شاطئ الجزيرة فاستوقف سمعهما صوتٌ شجيٌ ينشد اغنيةً فرنسوية شديدة التأثير وكان سكون الفضآء وهدوء الليل يعيران صوت المنشد عذوبةً ساحرة . فطلبت نجلآء من الاميرة ان يقف القارب وجلست مصغيةً الى تلك الكلمات الخارجة من كبدٍ حرّى وكأنها سمعت في ذلك الانشاد شيئاً يذكرها ما مرَّ من حياتها في زمن حداثتها فلم تملك نفسها من البكآء .

وكانت الاميرة ايضاً قد تأثرت من ذلك الصوت الحنون فلم تنتبه الى ما حل بنجلآء . وبقيتا كذلك الى ان انقطع الانشاد وعادتا الى القصر . وما صدقت نجلآء ان صدر لها الامر بالانصراف الى غرفتها حتى ذهبت واطلقت لنفسها العنان فبكت بكآءً مرًّا . ولما تيقنت ان اهل القصر قد ناموا قامت فخرجت الى الحديقة ونزلت السلم المؤدي الى النهر فايقظت نوتيًّا كانت تثق بامانتهِ وقبل ان تبادئهُ بخطاب ناولتهُ قبصة من الدنانير ثم قالت لهُ احفظ السر يا سعيد قال — لبيكِ يا مولاتي .

قالت اذهب وابحث لي عن صاحب الصوت الذي سمعناهُ الليلة ودبر بحكمتك ان تمكنني من مقابلتهِ غدًا هنا وفي مثل هذه الساعة . فقال سمعاً وطاعةً يا مولاتي فغدًا ان شآء الله يكون هنـا حسب مرامكِ . وكانت نجلآء ترتجف من البرد وهي خائفة ان يشعر احدٌ بوجودها تلك الساعة في ذلك الموضع فما صدقت ان سمعت وعد سعيد لها حتى عادت الى غرفتها ولم يزر الكرى جفنها طول تلك الليلة

ولم تصدق نجلآء ان مضى النهار واقبل الليل الثاني حتى خرجت في الميعاد وجآءت الى السلم المعهود فجلست وكانت الافكار تتقاذفها وهي تلوم نفسها لارسالها بطلب غريب عنها في مثل تلك الساعة من الليل وكانت كلما أنبت نفسها على هذا الصنيع تشعر في ضميرها بصوتٍ حيّ يهوّن عليها فعلها . وانها لكذلك اذا بقارب ينساب على المياه الصافية حتى بلغ السلم فنزل منهُ سعيد وتبعهُ فتًى في عنفوان الشباب في ثياب افرنجية وعلى رأسهِ طربوش وصعدا السلم فوجداها في انتظارهما فقال سعيد لنجلآء ها هو يا مولاتي الفتى الذي امرتني باحضارهِ وسأذهب الى وسط الحديقة حتى اذا طرأ مفاجئ انبهكِ للامر . ولما خلت نجلآء بالفتى الغريب جعلا ينظران بعضهما الى بعض وهي لا تدري كيف تبدأ بالحديث ورأت على وجه الفتى دلائل الامانة والرجولية والعفاف وفيهِ شيء من الحزن فقالت بالفرنساوية عفوًا ايها الغريب اذ دعوتك في مثل هذا الوقت والى مثل هذا المقام ولكنني في بيت تعسر عليَّ فيهِ مقابلتك على غير هذه الصورة . وقد سمعتك بالامس تتغنى بلحن هاج احزاني وعلمت انك ولا بدّ قادمٌ من فرنسا فاحببت ان اقابلك فاسألك عن وطن آبآئي وعن عزيزٍ لي هناك ربما تعرف عنهُ شيئًا . وكان الفتى يعجب من لهجة نجلآء ولغتها الفرنسوية الصحيحة وشعر بانقباضٍ في صدرهِ ورأتهُ نجلآء قد رفع منديلهُ الى عينيهِ فمسح منهما دمعتين محرقتين . ثم قال لها عجبًا ايها السيدة فزيكِ تركي وانتِ في بيت اتراك وتقولين ان فرنسا وطن آبآئكِ . فتنهدت نجلآء وقالت نعم انني من والدين فرنسويين ولكن حكمت الاقدار ان اغير محل اقامتي وزيي واسمي فبعد ان كنت في حضن والدتي اصبحت في منزل اميرة تركية وبعد ان كنت بلباس ابنآء وطني صرت في هذه الملابس الشرقية وبعد ان كان اسمي انجل تغير الى نجلآء . وكانها رأت امام عينيها صورة ماضيها فاطرقت الى الارض وهي تئن بتوجع . اما الفتى فما سمع كلامها حتى شعر كأن سهمًا قد اخترق فؤادهُ فرفع يدهُ الى عنقهِ واخرج من تحت ثوبهِ سلسلةً ذهبية فقدمها الى نجلآء وقال لها هل رأيتِ في زمانكِ شيئًا يشبه هذه . . . ولم تدعهُ يتم حديثهُ فوثبت كاللبوءة الفاقدة

اشبالها ثم اخذت السلسلة وقرأت عليهـا اسم ادوار والتاريخ فرفعت باليد الواحدة سلسلتها ايضاً من عنقها ورمت باليد الثانية على عنق اخيها واغمي عليها . . . .

ولما اخذ الضعف البشري حدَّهُ من الاخوين اخذا يتحادثان فقصت عليهِ نجلآء جميع ما مرّ عليها وما تذكرهُ ولما انتهت اخذ ادوار في حديثهِ فقال . اما انا فلما ارسلني والدي الى فرنسا أُدخلت المدرسة الحربية فبقيت فيهـا عشر سنوات اتقنت فيها جميع علومي ونلت من فضلهِ تعالى ودعآء والديّ قصب السبق على اقراني ثم أُخرجت من المدرسة لاقضي ثلاث سنوات في الخدمة كما تقتضيهِ اوامر الحكومة وقد كتبت في هذه المدة مرارًا الى والدي فلم احصل على جواب . ولما اصبحت حرًّا خيرتني الحكومة في البقآء او السفر ففضلت المجيء الى هنا لاراكم وزوَّدني بعض كبار رجال الحكومة تواصي الى حاكم القطر محمد علي باشا فجئت والشوق يسيرني اجنحة حتى بلغت مصر اول امس فرأيتها قد تغيرت كثيرًا عما كانت عليهِ حين فارقتها . ولما لم اهتدِ الى مقرّ والديّ قصدت محمد علي باشا فرفعت اليهِ كتب التوصية التي معي ولما عرف اسمي وغايتي اظهر لي كثيرًا من الانعطاف والحنوّ وقال لي ان والديك في النعيم وشقيقتك في حال تسرّك . ولكن قبل ان اجمعك بهم لا بد من ارسالك في مهمةٍ اؤمل لك منها خيرًا عظيماً وعودًا سليماً فاغطي صدرك هذا باوسمة الفخر واجمعك اذ ذاك بمن تحب . ثم اخبرني ان نجلهُ ابرهيم باشا قد سافر لمحاربة الديار السورية وانهُ يود ان يرسلني اليهِ لاساعدهُ في قيـادة العساكر والحرب فلم تسعني مخالفتهُ وقد امرني ان استعد للسفر وسيجهز لي الكتابات اللازمة لابنهِ وميعاد سفري غدًا

وكانت أنجل تصغي اليهِ بكل حواسها وهي لا ترفع نظرها منهُ فقالت لهُ لا بد من تقديمك الى الاميرة زينب في هـذه الليلة وان تقضي الساعات الباقية لك في مصر معاً . فقال لا فاني لا بد ان استعد للسفر وقد كفاني الآن اني رأيتكِ وعلمت مقركِ فاذا عدت سالمًا من سوريا كما ارجو باذن الله فحينئذٍ نجتمع اجتماعاً لا فراق بعدهُ . ثم اخذ الاثنان في حديثٍ طويل وكان ادوار يراجع كلمات محمد علي باشا

اذ قال لهُ ان والديك في النعيم وكيف لم يفطن اذ ذاك لمعناها فكانا يندبان فقدهما ويعزيان بعضهما بعضاً . و بينا هما غارقان في الحديث لم يشعرا الا وقد اخذت ظلمة الليل في الاضمحلال فلم يريا بدًّا من التفرُّق فودعا بعضهما بعضاً وسارت نجلآء بأخيها على ضفة النهر الى ما ورآء سور الحديقة فاستأنفا الوداع ورجعت هي الى غرفتها وسار هو في طريقهِ في تلك البساتين

وما سار ادوار كثيرًا وهو غائصٌ في تأملاتهِ حتى شعر بوطء اقدام تسير ورآءهُ فوقف ونادى بالتركية من القادم . فأجابهُ صوت أجشّ قف مكانك يا هذا ولا تبدِ حراكاً . ثم اقترب الشبح من ادوار فاذا هو رجلٌ ملتفٌّ بعبآءةٍ ولكنهُ لم يتبين هيئتهُ فقال لهُ ماذا تريد مني ايها الرجل . قال اريد قتلك واخفآء خبرك . فقال ادوار ولمَ ذلك . قال لانني رأيتك خارجاً من حديقة هذا القصر وقد اقسمت انهُ لا يدخلهُ غريب ويخرج منهُ حيًّا فاستعدّ للموت . فقال ادوار اعلم يا هذا انني من اخصآء محمد علي باشا فاذا بلغهُ الامر لا تأمن على حياتك . فقال ومن اين لمحمد علي ان يعرف بذلك فسأقتلك واخفيك تحت التراب فيعجز الثقلان عن معرفة قاتلك أو محل وجودك . فقال اداور خف غضب الله يا هذا واعلم انهُ ولو لم يشاهد اثمك احد فان الهوآء الذي تتنشقهُ الآن ينمّ عليك يوماً ما فتنال جزآءك . فقهقه الشبح ضاحكاً وقال اذا نمّ عليَّ الهوآء يوماً فسأجد ما اكذب بهِ شهادتهُ . ثم رفع من تحت قبآئهِ خنجرًا واغمدهُ ثلاثاً بسرعة البرق في صدر ادوار فسقط الى الارض ميتاً والدم يتدفق من جراحهِ . واسرع القاتل فحفر حفرةً التى فيها جثة ادوار وغطاها بالتراب واخفى اثر الدم وسار الى بيتهِ

اما نجلآء فكان سرورها بلقيا اخيها قد انساها جميع همومها فكانت دائمة السرور والابتهاج ولما طالت المدة ولم تسمع عنهُ شيئاً اضطرب فكرها ولم يكن يسليها الا اكرام الاميرة لها ومغازلة فائز وقد همت بأن تميل اليهِ . ومضت عليها ثلاث سنوات لم تسمع فيها شيئاً عن ادوار وكانت تعلل النفس بالاجتماع بهِ يوماً وتسرّ لما تسمعهُ من اخبار فتوح ابرهيم باشا وانتصاراتهِ وهي تعتقد ان اخاها في صحبة ذلك البطل .

وتغلب الامير فائز عليها اخيرًا فوعدتهُ بالاقتران بهِ وما صدق ان اخذ وعدها حتى اعلم الاميرة زينب فجعلا يستعدان للقيام بأفراح العرس . ولما كانت الليلة المعينة عُقد لفائز على نجلآء في حفلةٍ باهرة جمعت كبار الامرآء والنبلآء والحّ اصحاب فائز على اطالة ليلة السرور فانصرفت نجلآء الى غرفتها وبقي فائز مع اصحابهِ الى بزوغ الفجر . فلما خرجوا ذهب الى غرفة حبيبتهِ فوجدها قد استيقظت من نومها وهي تشكو من الحرّ فعمد الى نافذةٍ ففتحها فهبّ منها نسيمٌ لطيف في وجه فائز فتبسم . ورأت نجلآء تبسمهُ فسألتهُ عن السبب فقال لها قد ذكرني الهوآء امرًا . قالت وما هو . قال حادثة حصلت منذ ثلاث سنوات . ولما ألحت عليهِ ان يخبرها ولم يكن يودّ ان يعصي لها امرًا قال لها انني منذ كلفت بكِ كنت اسهر عليكِ ليلاً ونهارًا وحدث منذ ثلاث سنوات انني رأيت عند انبلاج الفجر فتى خارجاً من حديقة القصر فسوّلت لي غيرتي ان اقتلهُ وقبل ان افعل تهددني بالعقاب ولم يكن بالقرب منا احد يمكن ان يعرف ذلك فقال ان الهوآء الذي اتنشقهُ يشكوني يوماً ما . فلما فتحت النافذة الآن وهب الهوآء في وجهي ذكرني تلك الحادثة فتبسمت ضاحكاً من فأل ذلك المسكين

فلما سمعت نجلآء هذه الكلمات وثبت كفاقدة العقل فأمسكت بعنق فائز وصاحت آه يا قاتل اخي ولم تتركهُ حتى جآءت الخدم فأمرتهم بايثاقهِ . ثم ارتدت ثيابها وتوجهت للحال الى دار محمد علي باشا فطلبت المثول بين يديهِ وأخبرتهُ بما كان فشقّ عليهِ الامر جدًّا وامر فاستُحضر فائز وقُرّر فأقرّ وبُحث عن الجثة فوجدت رمةً والسلسلة الذهبية لا تزال معلقة في العنق فأخذتها نجلآء . وهي الاثر الوحيد الباقي لها من آلها وحكم على فائز بالشنق . ولما ايقنت نجلآء بنفاذ القضآء فيهِ طلبت الى محمد علي باشا فأرجع لها من المال ما يؤازي تركة والديها وسافرت الى فرنسا بعد ان كرهت الاقامة في ارضٍ لم تلقَ فيها منذ ولادتها سوى الشقآء والحزن وفقد الاهل والسعادة